

أدب معاصر

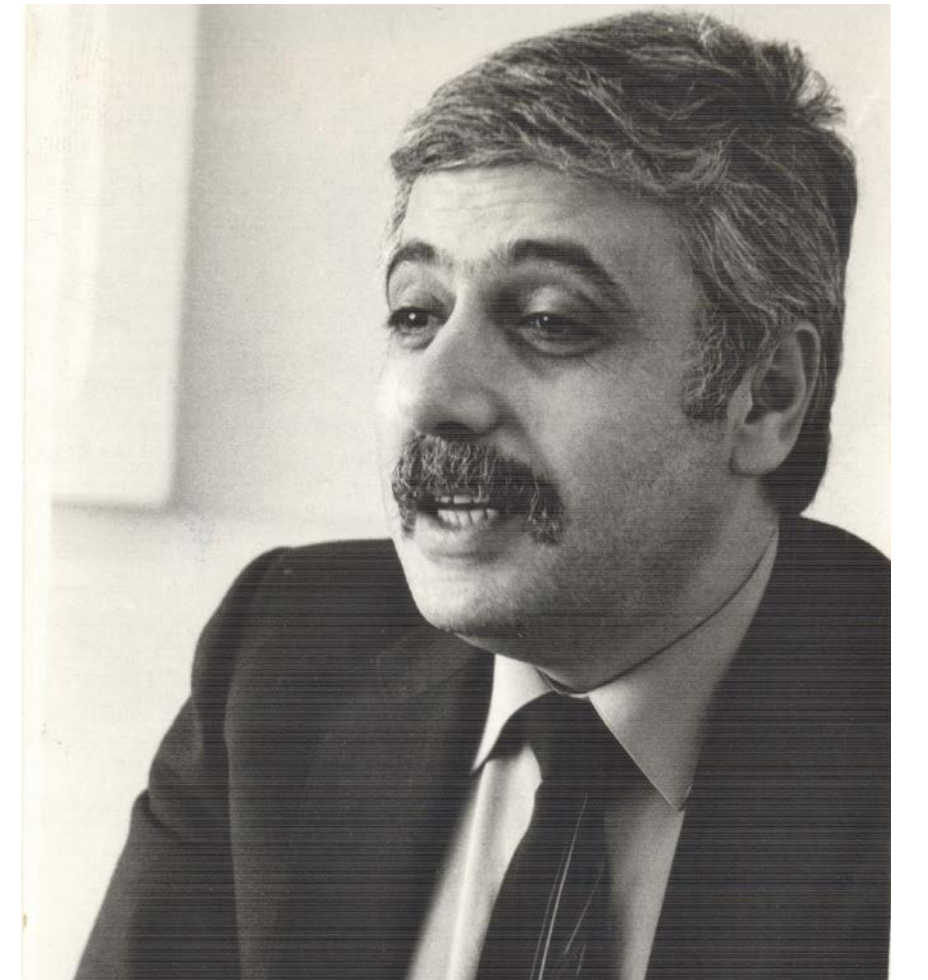
سمير مراد

مع إعادة إصدار خمسة من أعماله

من يتذكر عصام محفوظ... رائد المسرح اللبناني الحديث؟

احد اقانيم المسرح اللبناني الحديث مؤلفا ومخرجا، واحد صناع حداثة بيروت، صحافيا وناقدا ومترجما وشاعرا، شاهدا على النهضة، قارئاً للتراث العقلاني العربي. غاب عصام محفوظ قبل 12 عاما وما زال مكانه شاغرا في بيروت، كمتكفف جامع ملتزم اقتزن اسمه بحقبة تأسيسية في المشهد الثقافي اللبناني، مع كل ما رافقها من احلام بالتغيير، وايضا من خيبات سياسية واجتماعية

"المسرح لقدرتة على مواجهة جمهوره مباشرة، وفاعليته العظيمة، يجب ان يتصدر جميع الفنون. حتى نجعل منه الغاية التي نرجوها، يجب ان نجعله عنيفا، مثيرا، مهيجا متأثرا ومؤثرا، نافذا كالسهم. يجب ان نعريه من ثيابه القديمة، من كل ما يفصله عن الصدمة الضرورية. ليكون وسخا، ليكون فظا، ليكون لا اخلاقيا، شرط ان يحافظ على تأثيره وتحركه الدائب في قلب العالم. ان يتحيز الى موقف وان يبدأ هذا الموقف، اي موقف، انطلاقا من الواقع".



المؤلف المسرحي والشاعر الراحل عصام محفوظ.



محاضرا.

الخال، احد مؤسسي مجلة "شعر". كانت بيروت يومها تفيض بطاقتها وبعود الحداثة التي كانت تتلاطم نقاشات فكرية وتنظيرات ورؤى ابداعية في مقاهيها الحاضنة لكل غريب ومضطهد من البلدان المجاورة. سيحجز عصام محفوظ مقعده في قطار الحداثة، بعدما نشر بعضا من قصائده في المجلة الرائدة، وكان عضوا في هيئة تحريرها (من عام 1958 حتى عام 1964، ومن عام 1967 حتى عام 1970). سينتزز حضوره الصحافي لاحقا في صحيفة "النهار" التي دخلها عام 1966 (وسيبقى حتى عام 1996) في عز تألقها وفورتها، حيث سيصبح محفوظ مرجعا في النقد الثقافي والفني.

بدأ بالشعر الحر الذي كان سمة المشهد الشعري في تلك الفترة، وصدرت باكورته "اشياء ميتة" (1959) على نفقته الخاصة. الا ان نكسة 1967 ستصيبه بصدمة تجعله يتوقف عن كتابة الشعر، حتى ذهب الى القول ان "الشعر يمنعنا من رؤية الخنجر المغروز في صدورنا". دفعته هذه الصدمة المدوية الى التخلي تماما عن الشعر (اصدر دواوين عدة من بينها "اعشاب الصيف" عام 1961 و"السيف وبرج العذراء" عام 1963)، والارتقاء كلية في احضان المسرح، ناظرا اليه كأداة ووسيلة لتأسيس وعي جديد من خلال مسرح ميسس ذي نبرة اتهامية وساخرة من الواقع، هو الماركسي المنحاز الى الفقراء والمضطهدين.

كانت "الزئذخت" اول الغيث. المسرحية التي رفض المعلم الراحل منير ابوديس اخراجها، قوبلت بردود فعل متنوعة في المشهد الثقافي، ووصفها النقاد بانها "تشهد على ارادة لدى الجيل المسرحي اللبناني الجديد، ارادة تحاول، عبر وضع نفسها ضمن التيارات المسرحية العالمية، استيعاب هذه التيارات، لتخلق على الخشبة اصالة وطنية، غير منفصلة عن الحركات المسرحية العالمية". جاءت هذه المسرحية لتفصل بين اللغة الادبية واللغة المسرحية، بعدما كانت الترجمة واللغة الانشائية تخيم على النتاج المسرحي. كانت "الزئذخت" التي جاءت كرد على هزيمة 1967، المسرحية الاولى التي تكسر المحذور وتكتب بالعامية اللبنانية او ضمن مشروع محفوظ الذي سماه "الفصحى الشعبية"، واضعة لبننة الحداثة المسرحية على مستوى التأليف.

”

سعى الى مسرح ميسس ذي نبرة اتهامية وساخرة من الواقع

“

الى المشهد الثقافي اللبناني من بوابة "دار نلسن"، اذ اصدرت له اخيرا مجموعة من الاعمال بين ترجمة ودراسات هي: "باننظار غودو"، "زهرة المستحبة" او "العاشقة الانكليزية" (ترجمة)، "الكتابة في زمن الحرب"، "سيناريو المسرح العربي في مئة عام"، "باريس السبعينات: لقاء المشرق والمغرب".

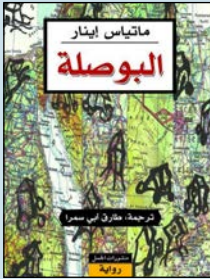
انها مناسبة للعودة الى ابن مرجعيون المولود قبل حوالي عقد من الزلزال الكبير الذي سيحفر عميقا في وجدان العرب ويرتك جرحه غائرا في نتاجهم الثقافي والابداعي والفكري طوال العقود اللاحقة. في 12 ايلول 1939، ولد وتفتح وعيه في بيت عائلي كان محجة لشعراء وكتاب ونقاد وعلماء دين لبنانيين وعرب من امثال احمد الصافي النجفي وبشارة الخوري وامين نخلة وامين الريحاني والاخلط الصغير وبولس سلامة وعبد الحسين شرف الدين ومحسن الامين. فعبد المسيح، والد عصام محفوظ، الذي تلقى علومه في القدس قبل ان يعود عام 1926، كان طبيب اسنان وفنانا وكاتبا تقديما عربويا مناصرا لحقوق المرأة. اسس في الثلاثينات من القرن الماضي "مسرح حرمون" في البلدة. مكان متفرد ونادر للعروض السينمائية والمسرحية، استقطب كالمغنطيس المهتمين ليس من لبنان فحسب، بل ايضا من فلسطين وسوريا. تأثر الوالد كان كبيرا على الطفل عصام الذي تابع صغيرا العروض الذي قدمها هذا الفضاء الى جانب افلام فيليني والامسيات الموسيقية. كان

عبد المسيح ايضا من مؤسسي جريدة "النهضة المرجعيونية" التي كانت متركزة على قضايا جبل عامل الثقافية والاجتماعية في اواخر العشرينات. عليه، كان طبيعيا ان يكبر عصام محاطا بالكتب والفكر والفن والشعر، وان يكون قارئاً نهما. وباكرا، سيميل الى ابي الفنون، اذ انجز اولي مسرحياته الكاملة ("بائع الطحين") في عمر الثانية عشرة، وقدمها مستعينا باكسسوارات الممثلين في "مسرح حرمون".

بعدها تلقى تعليمه الابتدائي والثانوي في مدارس بلدته، سافر الى باريس حيث حصل على دبلوم الدراسات المعمقة من معهد الدراسات العليا في الادب الفرنسي، قبل ان يعود عام 1957 الى بيروت هذه المرة. بدءا من هذه اللحظة، ستطبع مسيرته تنقلات وولادات وقطائع كثيرة تبعا للمرحلة واللحظة السياسية تحديدا التي كان شاهدا عليها. عام 1958، سيتعرف الى الشاعر شوقي ابوشقرا الذي سيعرفه بدوره الى يوسف

واجهت المكتبات

- ترجمة طارق ابي سمر، ليحيى عن الشرق من خلال سيرة موسيقي يعيش في فيينا. وفي احدى ليالي الارق، سيسترجع اللحظات التي عاشها في الشرق، خصوصا تلك اللحظات التي لا تنسى الى جانب حبيبته سارة. من خلال هذه الرواية، يقارب اينار مواضيع اشكالية راهنة، ابرزها النظرة الدونية والعنصرية التي يتطلع بها الغرب الى الشرق.



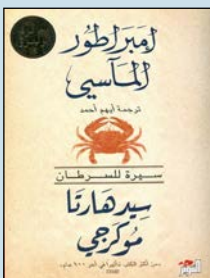
تعد اويبا بيدر (1940) كاتبة لها مكانة في بلدها تركيا، اصدرت عددا من الروايات والقصص والدراسات، خصوصا وانها مجازة في علم الاجتماع. اخيرا، ترجمت "الدار العربية للعلوم ناشرون" (ترجمة محمود محمد امين اغا) روايتها "رسائل القطط" في محاولة لتعريف القارئ العربي على هذه الكاتبة الفريدة. رواية صدرت عام 1993 بلغتها الاصلية، تدور في عالم القطط، لكنها ليست سوى تمثيل رمزي للواقع وعتبة لدخول عالم البشر الداخلي.



عن "دار الساقى"، صدر كتاب "انبياء البدو" للباحث التونسي محمد سعيد. دراسة تشرح الحراك السياسي والاجتماعي والعقائدي في المجتمع العربي قبل الاسلام. عمل ينقض فيه المؤلف النظريات القائلة بأن التخلف كان سمة مجتمع تلك الحقبة التاريخية، ويبحث في شأن النبوة ومعانيها الممكنة لدى عرب الجاهلية.



حين صدر "امبراطور الماسي... سيرة للسرطان" لسيدهارتا موكرجي عام 2010، صنف بأنه من بين الكتب الأكثر تأثيرا في اخر 100 عام، كما حاز "جائزة بوليتزر" عام 2011. الكتاب الذي انتقل اخيرا الى المكتبة العربية ("دار التنوير" - ترجمة ايهم احمد)، يمس موضوعا حساسا برهافة قل نظيرها. انه اشبه بسيرة لمرض السرطان منذ اول توثيق لظهوره قبل الاف السنين، والمحاولات الحثيثة للانتصار عليه عبر التاريخ والحقب. يبر الكاتب الهندي الاميركي على ابرز الاكتشافات في هذا المجال، لكن ايضا النهايات الحزينة التي كان شاهدا عليها. اذ رأى موت اقارب بسبب هذا المرض، فيما كان شاهدا على ملاحم بطولية من الصمود وتحدي المرض ثم الانتصار عليه لدى اخرين. انه كتاب يعكس ذروة الانسانية، ويعطي املا لكل مريض ومعتل.

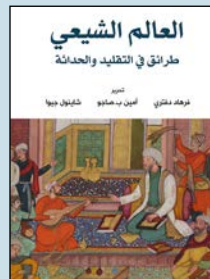


بات معروفا ان البرازيل تحتضن اكبر جالية لبنانية في العالم تزيد عن عشرة ملايين بحسب "مركز الانتشار اللبناني". انطلاقا من هذا الواقع، صدر كتاب "البرازيل بعين اللبنانيين والمتحدرين... خمس عشرة شهادة" ("دار الفارابي").

هذه العلاقة القديمة والتاريخية تضيء عليها المؤلفة رولا فارس ضيا التي جمعت 15 شهادة لاشخاص من مجالات ومشارب متنوعة كالوزير السابق عبد الرحيم مراد. ما يجمع هؤلاء انهم عاشوا في البرازيل، يقدمون هنا نظرتهم الى هذا البلد انطلاقا من تجاربهم الشخصية فيه.



يعتبر فرهاد دفتري (مدير مشارك لـ"معهد الدراسات الاسماعيلية" في لندن) مرجعا في المذهب الاسماعيلي، ومن ابرز مؤرخي المذهب الشيعي. ها هو يصدر كتابا مهما بالشراكة مع باحثين اخرين هما امين صاجو وشانول جيوا. "العالم الشيعي: طرائق في التقليد والحداثة" ("دار الساقى") يناقش القواعد والاسس التاريخية والمعرفية الخاصة بالاسلام الشيعي، ويتناول شخصيات ساهمت في تكوينه، الى جانب تقاليده الفكرية والشرعية والاخلاقية، وممارساته الولائية، وفنونه وعمارته، وادابه وموقفه من السينما والموسيقى، وتعاييره وتجاربه في مجال الحداثة. كتاب شامل يزودنا ايضا منظورا بانوراميا للروايات الغنية التي عملت على تشكيل العالم الاجتماعي والاخلاقي للمسلمين الشيعة حول العالم.



في عام 2016، صدرت باكورة ديمادروبي الروائية بعنوان "سلطانة القاهرة". الرواية التي صدرت يومها بالفرنسية، انتقلت اخيرا الى لغة الضاد عن "دار هاشيت نوفل". نحن هنا امام شخصية شجرة الدر التي انتقلت من وضعها كجارية الى سلطانة لعبت دورا تاريخيا في اثناء معركة الصليبية السابعة على مصر وخلال معركة المنصورة. اختارت الروائية السورية هذه الشخصية النسائية المثيرة للجدل، لتقدم مثلا على صلابه المرأة العربية وقوة ارادتها.



ليس الروائي الفرنسي ماتياس اينار (1972) غريبا عن العالم العربي. هو الرحالة عاشق الشرق الذي امضى فترة طويلة في ربوعه، وكتب عن ناسه وايضا عن تلك العلاقة بين الشرق والغرب. نال هذا الكاتب الكثير من الجوائز، ابرزها جائزة "غونكور" الفرنسية العريقة عام 2015 عن روايته "البوصلة". هذا العمل تحديدا انتقل اخيرا الى العربية ("منشورات الجمل")

لم تختلف الاعمال الذي كتبها محفوظ بعد 1970 عن سابقتها من حيث نبرتها الاتهامية والتحريضية على السلطة بمختلف تمثلاتها. "ماذا رفض سرحان سرحان ما قاله الزعيم عن فرج الله الحلو في سترينو 71؟" نص قارب ثلاثة مفاصل تاريخية وسياسية مثلتها ثلاث شخصيات دفعت حياتها فاتورة لمبادئها واقتناعاتها: سرحان سرحان قاتل السيناتور روبرت كندي في الولايات المتحدة، وزعيم الحزب السوري القومي الاجتماعي انطون سعاده، وفرج الله الحلو احد ابرز شيوخه الشيوعيين الستينات.

الى جانب تعليمه مادة التأليف المسرحي في الجامعة اللبنانية، استمر محفوظ في الترجمة، مغمسا النصوص المسرحية الغربية في التربة المحلية، حتى سهل على المخرج المسرحي المعروف شكيب خوري اخراج "باننتظار غودو" (للمعلم الالماني ورائد مسرح العبث صموئيل بيكيت) بعدما لبنها محفوظ ضمن عرض (1967 - بطولة روجيه عساف ونبية ابو الحسن) نال حفاوة نقدية. لكن الحرب الاهلية ستأتي لتجهز على اخر حلم في التغيير.

رغم ان محفوظ نشر اخر نصوصه المسرحية "التعري" عام 2001، الا انه كان قد فقد الايمان بقدرة المسرح على التغيير. هنا كانت قطبته الثانية. اذ سينكفئ عن المسرح، ويوجه نظره الى ميدان الدراسات الادبية والكتابات النقدية والاعمال التي تنهل من التراث. قدم مجموعة من الكتب الحوارية عن التراث الفكري العربي ورموز التنوير والفكر والفلسفة والشعر في الحضارة الاسلامية العربية كابن عربي، وابن رشد، وابن خلدون، وجابر بن حيان، وابو العلاء المعري، وعبد الرحمن الكواكبي، واصر كتابا مثل "حوار مع الملحنين في التراث" عام 2004 و"مسرح القرن العشرين" في جزئين عام 2002... لكن كل هذا النتاج الخصب والغزير، لم يشفع له.

بعدما قضت الاوضاع السياسية والاجتماعية على احلامه، كانت نهاية عصام محفوظ اكثر مأساوية من نصوصه. عام 2005 اصيب بسكتة دماغية ادخلته المستشفى في حال من العوز والفقر، قبل ان يغمض عينيه في 6 شباط 2006، ويسدل الستارة على مرحلة مضيئة وشاسعة بالاحتمالات في تاريخ لبنان الثقافي.

المحبوس مع خادمه سعدون في غرفة تعزلهما عن العالم الخارجي ضمن مناخات عبثية هاذية. امل عصام محفوظ في قدرة المسرح على التحريض وتأسيس وعي ثوري ينتفض على الواقع، كان كبيرا. لذا، ازدادت لهجته حدة مع توالي مسرحياته. "كارت بلانش" (1970 - اخراج روجيه عساف ونضال الاشقر) التي استوحاها من "اوبرا القروش الاربعة" لبريخت، تجري في بيت دعاة حيث يوجه محفوظ نقده الى الرأسمالية والسلطة وبنى الاستغلال والفساد. هكذا، لم تكن الغايات في المسرحية سوى الشعب المستغل، بينما القواد هو الحاكم الذي لا يتورع عن استغلال اي شيء لمنفعته الشخصية.

يومها، لمع الراحل ريمون جبارة في دور سعدون المغلوب على امره الى جانب نبية ابو الحسن وفيليب عقبي. الاستبداد والسلطة وسحق الفرد من الجماعة، واشكال القمع السياسي والديني والاجتماعي، والسخط على الواقع العربية والمحلية، كلها هواجس خيمت على نصوصه بدءا من "الززلخت". كانت الاخيرة جزءا من ثلاثية بطلمها "سعدون" الذي يتعرض لمحاكمة من الجنرال، ضمن مناخات عبثية وسريالية. تلتها "الديكتاتور" (بطولة انطوان كرجاج وميشال نبعة) التي ترافقت مع سلسلة الانقلابات العسكرية في البلدان العربية في نهاية الستينات. مسرحية عن السلطة والديكتاتور

